ثقافة

حصاد الثقافة 2024 بين الحرب ورسائل الصمود
لبنان نفض عنه الغبار.. وتوقٌ إلى الأمل

واجه لبنان عام 2024 سلسلة من التحديات هزت بنيته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، طاولت المشهد الثقافي الذي شكل جزءا اساسيا من هوية الوطن على مدى عقود. ومع ارجاء العديد من النشاطات الثقافية، فقد وطن الحرف مساحات حيوية نابضة بالابداع والتنوع الفكري، حيث برزت محاولات ثقافية في عدد من المناطق للحفاظ على صورة لبنان

لم تكن الحياة الثقافية في لبنان عام 2024 بخير، رغم انها استعادت شيئا من زخمها في ظل ظروف قاسية واجهت لبنان لا سيما بعد توسيع الاحتلال الاسرائيلي عدوانه على لبنان في 23 ايلول. ويعتبر الواقع الثقافي الاكثر تضررا لأن البعض يرى انه لا يشكل اولوية في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية، ونزوح فاقم الازمة التي يعاني منها لبنان منذ سنوات.

اليوم، بعدما نفضت عنها غبار الحرب والدمار، بدأت الحياة الثقافية والفنية في لبنان تستعيد عافيتها وتضرب مواعيد جديدة مع الجمهور الذي يتوق الى فسحة من الفرح والامل، لاسيما مع اقتراب زمن الاعياد.

فما هي ابرز النشاطات الثقافية خلال عام 2024، مع بروز محاولات ثقافية في عدد من المناطق للحفاظ على صورة لبنان الثقافية.

ما ان تم الاعلان عن وقف اطلاق النار حتى باشرت المناطق اللبنانية التحضير لموسم الاعياد، فارتدت حلة العيد بكامل اناقتها متألقة بزينة ميلادية، معلنة معها الاحتفال بالحياة والامل. رفعت شجرة الميلاد، وافتتحت الاسواق الميلادية، وصدحت ضحكات الاطفال في العاصمة بيروت وجبيل والبترون ومدن اخرى، فتعددت الاحتفالات والعروض الفنية في اجواء من الفرح.

في العام 2024 جرى اختيار طرابلس عاصمة ثقافية للعالم العربي. حملت هذا اللقب، وهي تستحقه لما تكتنزه من مخزون فكري، ثقافي، حضاري وتاريخي. وحين تكون مدينة "عاصمة ثقافية" يبدأ العمل وتنظم النشاطات من 1 كانون الثاني، اول ايام السنة، ولا ينتهي حتى 31 كانون الاول.

كان هناك اصرار لدى وزارة الثقافة بالخروج من دائرة النشاطات التقليدية والامسيات داخل الجدران الاربعة، واقامة انشطة ثقافية تتفاعل مع روح المدينة واعادة الاجواء الفنية الى الباحات، والساحات العامة، والى استغلالها لإحياء الاماكن الاثري والتراثية.

> **الحرب خلطت كل الاوراق على الصعيدين الفني والمسرحي عام 2024**

لكن من سوء طالع المدينة ان جاء اختيارها لهذا اللقب في مرحلة من اصعب مراحل عمر الوطن، ومع اقتراب نهاية العام 2024 كان من المفترض على المدينة ان تختتم عامها الثقافي بمئات الانشطة ذات الطابع الثقافي، انهت عامها باستقبال مئات النازحين في مناطقها.

نجحت "الحركة الثقافية - انطلياس" في اطلاق النسخة 41 من "المهرجان اللبناني للكتاب"، جاذبة عشاق الكتب الى مقرها في دير مار الياس، متحدية الظروف الصعبة التي تعانيها البلاد. تميزت هذه التظاهرة الثقافية التي استمرت حتى 10 اذار الماضي بنشاطات مختلفة وبرنامج زاخر يعزز مكانة الكتاب في عصر التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي. اختار المهرجان التركيز على ثلاثة محاور: معرض لبيع الكتب، تواقيع كتب صادرة حديثا وتكريم شخصيات ثقافية.

فيما رضخ "معرض بيروت العربي الدولي للكتاب"، احد ابرز المواعيد الثقافية السنوية في العاصمة اللبنانية، الى صوت الحرب. فلم يفتح ابوابه في 28 تشرين الثاني، مخلفا فراغا ثقافيا عميقا. فيما كان المنظمون يعملون على اطلاق هذه الدورة بحلة مختلفة يحققون فيها نقلة نوعية في الشكل والمضمون.

خلطت الحرب كل الاوراق على الصعيد الفني والمسرحي عام 2024.

قبل 23 أيلول، كانت قد عادت الحياة الى المسرح اللبناني باشكاله كافة، بعدما فرضت جائحة كورونا، ثم الظروف التي مر بها لبنان على الفنانين الابتعاد القسري من المسرح. اجتمع اسمان بارزان سينمائيا، تلفزيونيا ومسرحيا، جورج خباز وعادل كرم على خشبة المسرح لأول مرة بعمل فني في كازينو لبنان. مسرحية "خيال صحرا" عمل مسرحي بأسلوب مختلف لا يشبه ما سبق ان قدمه خباز، يجمعه مع الفنان عادل كرم وحيدين على مدى 80 دقيقة وتختلط فيه الدراما بالكوميديا، يحمل لبنان الامس، اليوم والعبرة للمستقبل.

تدور احداث المسرحية حول شخصيتين لا يشبهان بعضهما بأي شيء، لا بالطائفة، لا بالانتماء السياسي، ولا بالذهنية. لكن زمانا ومكانا معينين يفرضان عليهما تلك الصداقة فتبدأ قواسمهما المشتركة بالظهور، ليتضح ان الشبه الانساني بينهما عميق رغم اختلاف القشور.

المسرحية جذبت اكثر من 26 الف مشاهد، واستطاعت ان تخلق حالة جماهيرية استثنائية.

وسط الاقبال غير المسبوق، اعلن عن عودتها الى خشبة مسرح كازينو لبنان خلال عيدي الميلاد ورأس السنة، من 18 كانون الاول ولغاية 19 كانون الثاني 2025.

وفيما يصادف في 14 نيسان الذكرى التاسعة لرحيل المسرحي المبدع ريمون جبارة، وجه "مسرح مونو" تحية اليه تحت عنوان "4 لريمون". اربعة من طلابه وزملائه يعيدونه الى الخشبة ببادرة من المخرج والكاتب والممثل والاستاذ الجامعي غابريال يمين الذي يكمن هاجسه الاكبر منذ غياب جبارة في كيفية ايصال فكره الى الجيل الجديد.

اعيد انتاج اربع مسرحيات كتبها جبارة هي: "تحت رعاية زكور" (اخراج غابريال يمين) عرضت بين 28 شباط و8 اذار، مسرحية "بيكنيك ع خطوط التماس" (اخراج جوليا قصار) بين 10 و 18 اذار، مسرحية "زرادشت صار كلبا" ◄

المقال

الثقافة في زمن الحرب

لم يكن لبنان عبر تاريخه الطويل الا موطنا للإبداع يغتني بمصادر تنوعه الثقافي والحضور المتميز لابنائه في ميادين الحياة كافة، لاسيما في الفكر والادب والفن والتراث، فكان بقعة ضوء ومركز استقطاب للمفكرين والروائيين والشعراء والمسرحيين والفنانين التشكيليين والكتّاب والصحافيين العرب.

ازمات وحروب مرت على لبنان، علت فيها اصوات المدافع والغارات وتقدمت انباء الموت والدمار على غيرها، فهل من الممكن ان يظل للثقافة حينها صوت يتكلم ويعلو على صوت المعارك العسكرية؟

قد يسأل سائل عن مبرر التطرق الى الثقافة والفن، في وقت تتراجع اولويات الناس في زمن الحروب.

لقد وثق التاريخ حقيقة ان الفنون مرآة تعكس الواقع، ووسيلة لنقل الرسائل الثورية والناقدة. اذ ان الفنون، بمختلف اشكالها، تعتبر وسيلة تعبير وتواصل تتجاوز حدود اللغات والجغرافيا. فهي توثق الكوارث والاحداث، وتجسدها بريشة الفنانين والموسيقيين، لتكون شاهدة على ما يمر به الانسان من الحروب الى الاوبئة، ومن الكوارث الطبيعية الى الصراعات السياسية.

في ظل الازمات والحروب، لم يتوقف الفن عن التعبير عن معاناة الانسان وامله. فكما ألّف دميتري شوستاكوفيتش سيمفونيته السابعة "لينينغراد" خلال الحصار الالماني للمدينة الشهيرة، لم تكن تلك المعزوفة مجرد لحن، بل كانت نداء للصمود والاصرار.

فيروز التي غنت في بعلبك في كل الظروف، تحولت الى ايقونة للامل بصوتها الذي ملأ الساحات، حتى شعر اللبنانيون ان هناك ما يستحق الحياة في هذا الوطن.

في خضم الحرب الاهلية اللبنانية، عندما كانت شوارع بيروت تقسم بالحواجز الطائفية، كانت الصحف والمجلات تصدر يوميا، وكانت الكلمة وحدها قادرة على كسر الحصار. لم تكن هذه الصحف مجرد نشرات اخبارية، بل فضاءات فكرية لمثقفين مثل غسان تويني وانسي الحاج وغيرهم، الذين رأوا في الكتابة عملا مقاوما.

لطالما اعتبر المثقف صانعا للتغيير، مؤمنا بحتميته، مهما اشتدت الازمات، وهو بحسب الشاعر الكبير محمود درويش "الغزال الذي يبشر بزلزال"، زلزال على الواقع الذي يريد اي مثقف تغييره بطاقاته الابداعية الثقافية في ثورة على الواقع. هذا ربما ما دفع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي في حربهم ضد النازية، بأن يضعوا مع كل جبهة مثقفا يعمل على تعبئة الثوار داخليا، حتى تظل روح الحماسة والنضال متقدة لديهم.

وقد قال جبران خليل جبران: "الوطن ليس ما نملك، بل ما نحميه بما نؤمن به".

وفي احدى افتتاحياته الشهيرة في جريدة "النهار" كتب غسان تويني:

"اوقفوا الحرب... ودعونا نحارب بالكلمة"، متحديا منطق السلاح، مؤكدا ان الثقافة ليست ترفا في زمن الحرب، بل ضرورة للحفاظ على الهوية الوطنية في وجه الانهيار. ويبقى بذلك المثقف اللبناني حارسا للهوية اللبنانية.

ميرنا الشدياق

للمخرج انطوان الاشقر عرضت بين 20 و27 اذار، و"قندلفت يصعد الى السماء" للممثل والمخرج رفعت طربيه بين 30 آذار و7 نيسان.
من جهة اخرى، وفي خطوة تضامنية وانسانية بادر المخرج قاسم اسطنبولي الى فتح ابواب المسرح الوطني اللبناني في الحمراء في بيروت وطرابلس امام النازحين من ابناء الجنوب والضاحية. واكد انه في زمن الحرب، نبني خشبة مسرحنا في بيروت لكي "ينام الناس على هذه الخشبة التي ستبقى رمز الصمود والنضال وخشبة خلاصنا وحلمنا في بناء لبنان من اجل الحرية والعدالة والكرامة"، وارفق ذلك بهاشتاغ "المسرح بيجمعنا والمسرح بالسلم كما الحرب هو مفتوح للناس".
ولأن الفن والثقافة مقاومة من نوع آخر، ارتأت لجان عدد من المهرجانات الاستمرار في برامجها وتنظيم حفلات فنية، فيما علقت اخرى نشاطاتها.
وقد الزمت المخاوف من توسع الحرب، متعهدي بعض الحفلات الفنية في لبنان، تأجيل والغاء البعض منها، على خلفية تفاقم القلق الذي ضاعفته التحذيرات الدولية، وطلب بعض الدول من رعاياها اخلاء البلاد بشكل عاجل، فيما الغت بعض شركات الطيران رحلاتها الجوية الى لبنان.
لكن منظمي بعض المهرجانات تحدوا الصعوبات المادية والامنية، وتكيفوا معها كما تكيفوا سابقا مع الظروف والتحديات التي مرت على لبنان.
مهرجان "اهدنيات" تحدى مناخ الحرب وقدم برنامجا فنيا متنوعا، يجسد بحسب منظميه ارادة الحياة لدى اللبنانيين. حقق "اهدنيات" ايضا هدفا غير تجاري تجسد في تخصيص ريع حفلاته لدعم قضايا انسانية.
وعادت مهرجانات بيبلوس الى الواجهة هذا العام ببرنامج غني ومتنوع بين احجار المدينة القديمة في جبيل، فجمع بين التراث والثقافة والرقي والموسيقى الجميلة استمر طوال شهر تموز، حيث استضاف عروضا موسيقية لفنانين مشهورين مثل توني مخول، كايروكي، ميشال فاضل، نانسي عجرم، وASH.
مهرجان اعياد بيروت، مهرجان الفرح والموسيقى عاد ليحط رحاله في الواجهة البحرية لبيروت بين 18 تموز الى 30 منه، انطلق مع اليسا قدمت فيه باقة من اغاني البومها الاخير مع القديم المفعم

رحيل فنانين وكتاب ساهموا في اغناء الثقافة والفن في لبنان

بالرومانسية، واختتم مع "الشامي" في احتفال امتلأت فيه المدرجات قبل الموعد بساعات.
انشطة مهرجانات بيت الدين التي كانت مقررة للعام 2024، تم تعليقها بسبب "ما يمر به جنوب لبنان واهله من اوقات عصيبة وقاسية، وما تعيشه فلسطين من حال ابادة جماعية متواصلة على مرأى من العالم".
لقد حصرت النشاطات بمعارض للفنون اقيمت في باحات القصر، على امل ان تتحسن الظروف

لمواصلة الدور الفني والثقافي الذي لعبته المهرجانات بشكل متواصل منذ العام 1984، ايمانا منها بدور لبنان ورسالته.
اما لجنة "مهرجانات بعلبك الدولية" فأكدت اهمية الثقافة بوصفها حافزا للوحدة والسلام في عالم يتسم بالسلبية، مشددة على التزامها رسالتها الثقافية الثابتة التي لا تتزعزع. بهذه الروحية قدمت لجمهورها حفلا واحدا فقط بعنوان "اوتار بعلبك"، في 29 آب الفائت، شارك فيه كبار عازفي العود من لبنان وفلسطين. كما شارك شربل روحانا وفرقته السداسية في الفصل الاول من الاحتفال، والثلاثي جبران وفرقته الموسيقية في الفصل الثاني منه.
وكان من المقرر ان يقام هذا الاحتفال في بعلبك، الا انه تم نقله الى "مسرح كركلا" في حرج تابت - بيروت، بسبب الظروف الامنية. وهنا اظهرت رمزية هذا المكان، التضامن الثابت بين مسرح كركلا العريق ولجنة "مهرجانات بعلبك الدولية".
وككل عام، عكست مهرجانات البترون الدولية الوجه الحقيقي للمدينة التي تنبض بالفرح والحياة، في اجواء امتزج فيها الفن مع روح المدينة. فقد نظمت لجنة المهرجانات نشاطات متنوعة وبرنامجا غنيا جمع بين مختلف الفنون والفعاليات الثقافية والسياحية.
من جهة اخرى، رحل المسرحي انطوان ملتقى في

بعض مهرجانات الصيف استمرت في برامجها واخرى علقتها

شباط عن عمر يناهز 91 عاما، وهو احد عمالقة الخشبة اللبنانية الذي عرف باقتباسه او ترجمته مع زوجته المخرجة والممثلة لطيفة، عددا من ابرز الاعمال العالمية. اشتهر شعبيا بدوره في المسلسل التلفزيوني الشهير "عشرة عبيد زغار" في منتصف السبعينات. وقد شكل مع زوجته ثنائيا فريدا، اضاف الى الحركة المسرحية اللبنانية زخما وحيوية مميزين.
في شباط الماضي أيضا، رحل الفنان فادي ابراهيم وهو من عمالقة التمثيل على الساحة الفنية عن عمر ناهز 67 عاما، بعدما قدم خلال مسيرته الفنية ما يقرب من 105 اعمال فنية في لبنان ومصر وسوريا. كانت بداياته في مسلسلات وافلام في لبنان مثل فيلم "الانتفاضة" ومسلسل "مع الاطباء العرب" و"آخر اليوم" و"الموت القادم الى الشرق"، وفي عام 2001 قدم شخصية ريتشارد في مسلسل "البحث عن صلاح الدين".
ابرز تجاربه الفنية تجلت في مسلسلات "الامين والمأمون"، "اسمهان"، "البوابة الثانية"، كما شارك في السنوات الاخيرة في مسلسلات "النحات" و"ثورة الفلاحين"، و"عنبر 6"، لكن ابرزها كان في "العاصفة تهب مرتين" حيث حصد شهرة واسعة ونال استحسان المشاهدين والنقاد على حد سواء.
في ايار الفائت، غيب الموت نجم افلام الحركة في لبنان خلال سبعينات القرن العشرين وثمانيناته فؤاد شرف الدين عن عمر ناهز 83 عاما. اثرى السينما اللبنانية بالعديد من الافلام، وكذلك الشاشة الصغيرة بأكثر من مسلسل. كان يؤدي دائما دور ضابط الامن، لذا لقب بالكابتن، الذي يحافظ على القانون وعلى هيبة الدولة، فكان للبعض في تلك الحقبة "بطل طفولتهم".
في شهر آب المنصرم غيب الموت الممثل القدير سمير شمص عن عمر يناهز الـ81 عاما ، تاركا بصمة فنية وحضورا متميزا محليا وعربيا على صعيد المسرح والسينما والاذاعة والتلفزيون منذ اكثر من 60 سنة متألقا. بدأ العمل في مجال الصحافة حيث كتب العديد من السيناريوهات للاذاعة والتلفزيون والمسرح. اما حياته الفنية فانطلقت في بداية الستينات، حيث شارك في افلام عدة منها "سفر برلك"، "بنت الحارس"، "العسل المر"، "الشريدان" و"شارع الضباب". كما شارك في العديد من المسلسلات اللبنانية والمصرية.
عام 2024 توفي الكاتب والناقد الادبي والاكاديمي الياس خوري عن 76 عاما، بعد مسيرة طويلة قدم خلالها انتاجات ادبية غزيرة حظيت بتقدير عالمي واسع، حيث اصبح عبرها احد ابرز المفكرين المناصرين للقضية الفلسطينية. يزخر رصيده الادبي بأعمال كثيرة تناول فيها موضوعات متنوعة تشمل الذاكرة والحرب والمنفى، وقد ترجمت الى لغات عدة منها الفرنسية والانكليزية والالمانية والاسبانية.
ودعت الدراما اللبنانية في تموز عميد الممثلين اللبنانيين محمد الكبي عن عمر يناهز 97 عاما بعد ان اغنى الدراما اللبنانية والعربية بالكثير من الاعمال التلفزيونية والاذاعية في زمن الابيض والأسود. اشتهر بادواره الرئيسية في العديد من الاعمال الدرامية اللبنانية التي شكلت علامة ذهبية فارقة في عالم الدراما.

م. ش